

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ]

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الْآخِرِ

فَإِنَّ النَّاطِمَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ، شَرَعَ فِي بَيَانِ الْإِيمَانِ بِاليَوْمِ الْآخِرِ فَقَالَ:

وَلَا تُنْكِرْنَ - جَهْلًا - نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
وَقُلْ: يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفَرْدَوْسِ تَحِيًا بِمَائِهِ
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ
وَلَا الْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحٌ

يَتَحَدَّثُ النَّاطِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاليَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السَّتَّةِ.

وَقَدْ مَرَّ فِي الْأَيَّاتِ السَّابِقَةِ بَعْضُ هَذِهِ الْأَرْكَانِ، وَالْأَرْكَانُ السَّتَّةُ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ مُتَرَابِطَةٌ لَا يَنْفَكُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَالْإِيمَانُ بِبَعْضِهَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِبَعْضِهَا الْآخِرِ، وَالْكُفْرُ بِبَعْضِهَا كُفْرٌ بِسَائِرِهَا، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْكَانِ فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿النساء: ١٣٦﴾.

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالنَّاطِقُ رَحِمَهُ اللَّهُ هُنَا يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْمَنْظُومَةَ مُخْتَصِرَةً، لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْبَسْطِ وَالْإِطْنَابِ، فَإِنَّهُ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ مُنْبِهًا بِذَلِكَ إِلَى الْأُمُورِ الْآخِرَى الَّتِي لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ ذِكْرِهَا مُرَاعَاةً لِلِاخْتِصَارِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ جُمْلَةٌ مِنْ أُمُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ذَكَرَ: مُنْكَرًا وَنَكِيرًا، وَالْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ، وَإِخْرَاجَ عَصَا الْمُوحِدِينَ مِنَ النَّارِ، وَالشَّفَاعَةَ، وَعَذَابَ الْقَبْرِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ضَابِطُهُ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهَذَا مِنْ أَجْمَعٍ مَا يَكُونُ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لَشُمُولِهِ لِكُلِّ مَا يَكُونُ بِدَايَةٍ مِنْ دُخُولِ الْقَبْرِ إِلَى افْتِرَاقِ النَّاسِ إِلَى فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهَا أَمَارَاتٌ، وَعَلَامَاتٌ عَلَى قُرْبِهَا وَدُنُوِّ مَحِيَّتِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ «قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ! قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاةِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

فَالسَّاعَةُ لَهَا عَلَامَاتٌ:

عَلَامَاتٌ كُبْرَى: تَكُونُ عِنْدَ قُرْبِ قِيَامِهَا.

وَلَهَا عَلَامَاتٌ صُغْرَى: تَكُونُ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَالْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ الْإِيمَانُ بِالْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَأَنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ - كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ -: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ.

إِبْثَاتُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ

قَالَ النَّاطِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا تُنْكَرَنَّ: (لَا) نَاهِيَةٌ.

تُنْكَرَنَّ: مِنَ الْإِنْكَارِ وَهُوَ الْجَحْدُ، وَعَدَمُ الْإِبْثَاتِ.

جَهْلًا: مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ.

أَي: لَا تُنْكَرُ وَجُودَهُمَا - يَعْنِي: مُنْكَرًا وَنَكِيرًا -؛ لِأَجْلِ جَهْلِكَ، وَبِسَبَبِ قِلَّةِ عِلْمِكَ.

وَلَا تُنْكَرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا: هَذَانِ مَلَكَانِ مِنَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، زُرُقُ الْعُيُونِ، سُودُ الْوُجُوهِ؛ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ، أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ! فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي، فَأَخْبِرْهُمْ. فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ

يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّعْمِي عَلَيْهِ. فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ». الْحَدِيثُ - كَمَا مَرَّ - رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

سَبَبُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْتِيَانِ عَلَى صُورَةِ مُنْكَرَةٍ، لَمْ يَعْهَدَهَا الْإِنْسَانُ، وَلَيْسَ فِيهَا أُنْسٌ لِلنَّاطِرِينَ، وَيُسَمَّيَانِ - يَعْنِي: مُنْكَرًا وَنَكِيرًا - يُسَمَّيَانِ: الْفَتَانَانِ؛ لِأَنَّهُمَا يَفْتِنَانِ النَّاسَ فِي قُبُورِهِمْ.

فَالْإِيْمَانُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ مِنَ الْإِيْمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ أَحْمَدَ: هَلْ نَقُولُ الْمُنْكَرَ وَالنَّكِيرَ، أَوْ نَقُولُ الْمَلَكَانَ؟ قَالَ: الْمُنْكَرُ وَالنَّكِيرُ، هَكَذَا هُوَ.

يَعْنِي فِي الْحَدِيثِ؛ فَالْحَدِيثُ صَحَّ فِيهِ ذِكْرُ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ، فَيَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ الَّذِينَ يُحَكِّمُونَ عُقُولَهُمْ فِي الشَّرْعِ يَرُدُّونَ هَذَا، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ عَنْ بَعْضِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ إِنَّهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، فَأَنْكَرُوا هَذَا بِالْعَقْلِ، وَهَذَا مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ، وَقَلَّةِ الْعِلْمِ مِنْ هَؤُلَاءِ بِالشَّرْعِ؛ لِذَا قَالَ النَّاطِمُ: جَهْلًا، وَلَا تُنْكَرُنْ جَهْلًا، أَيُّ: لَا تُنْكَرُنْ يَا صَاحِبَ السُّنَّةِ بِسَبَبِ الْجَهْلِ هَذَا الْأَمْرَ، وَهَذَا إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّهُ لَا يُنْكَرُ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا إِلَّا الْجَاهِلُ، أَمَّا الْعَالِمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ بِهِ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ - وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ كَلَامٍ - فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ عِلْمٍ؛ لِذَا قَالَ أَبُو
يُوسُفَ: الْعِلْمُ بِالْكَلامِ جَهْلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلامِ عِلْمٌ؛ فَالْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ، قَالَ رَسُولُهُ
ﷺ، قَالَ الصَّحَابَةُ، فَالْمُتَكَلِّمُ - وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ وَمَنْطِقٍ وَجَدَلٍ -
فَإِنَّهُ جَاهِلٌ لَا عِلْمَ لَهُ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَيْنِ الْمَلَكََيْنِ يَأْتِيَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ وَيُجْلِسَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟
وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

وَلِذَا مِنْ الْأُمُورِ الْمُهَمَّةِ نَشَرُ هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَعْلِيمُهُمْ
إِيَّاهَا؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ؛ لِذَا كَانَ مِنْ نَصِيحَةِ الْإِمَامِ
الْمُجَدِّدِ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ أَنْ أَلْفَ رِسَالَتِهِ الْجَلِيلَةَ «الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ وَأَدِلَّتْهَا».

وَفِي ضَوْءِ جَوَابِ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ، وَتَثْبِيتِ اللَّهِ لَهُ مِنْ عَدَمِ تَثْبِيتِهِ
يَكُونُ النَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ يَعَذِّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ.

وَقِسْمٌ يَنْعَمُونَ.



إثبات عَذَابِ الْقَبْرِ

وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فَهُمْ الْآنَ يُعَذَّبُونَ فِي الْقَبْرِ يَوْمِيًّا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهَذَا حَالُ كُلِّ كَافِرٍ بِاللَّهِ، أَمَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِمَّنْ هُمْ عَصَاةٌ، وَأَهْلُ كِبَائِرَ لَيْسَ تَعْذِيبُهُمْ فِي الْقَبْرِ كَتَعْذِيبِ الْكَافِرِ، وَإِنَّمَا يُعَذَّبُونَ عَلَى قَدْرِ كِبَائِرِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ: فَإِنَّهُ مُنْعَمٌ فِي قَبْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إنْكَارُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ بِالْعَقْلِ، وَلَا الْمَنْطِقِ، وَلَا التَّجَارِبِ، خَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِتَجَارِبِ الْمَلَاحِدَةِ حَيْثُ قَالُوا: حَفَرْنَا الْقُبُورَ، فَلَمْ نَجِدْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَمْ نَرَ عَذَابًا وَلَا نَعِيمًا!!

وَلَيْكُنْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي صِفَةِ الْمُتَّقِينَ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

أَيُّ: يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا غَابَ عَنْهُمْ مِمَّا أَخْبَرْتَهُمْ بِهِ رُسُلُ اللَّهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ بَدَأَ كَلَامَهُ عَنِ الْإِيْمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ بِالكَلَامِ عَنِ الْمَلَكَيْنِ:
مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْقَبْرَ، وَمَا فِيهِ هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ
قَامَتْ قِيَامَتُهُ.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

الإيمان بالنفخ في الصور

وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهِذَا، وَبِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَهُ، فَنُؤْمِنُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَهُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ الَّذِي وَكُلَّ بِهِ وَهُوَ إِسْرَافِيلُ، وَالنَّفَخَاتُ ثَلَاثٌ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَنَفْخَةُ الصَّعَقِ، وَنَفْخَةُ الْقِيَامِ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ جَعَلَهَا نَفْخَتَيْنِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ثَلَاثٌ، وَكُلُّهَا ذِكْرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

فَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةُ الْأُولَى: فَيَفْزَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ: فَيُصْعَقُونَ، ثُمَّ يُنْفَخُ: فَيَقُومُونَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ، وَلَا يُدْرَى عَنِ الْأَرْبَعِينَ مَا هِيَ؟

جَاءَ فِي وَصْفِ قِيَامِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَقُومُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا.



الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ - يَعْنِي حَشَرَ النَّاسِ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا -، وَيُحْشَرُونَ كُلُّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، يُجْمَعُونَ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِدُنُو الشَّمْسِ مِنَ الْخَلَائِقِ، وَتَفَاوُتِ النَّاسِ فِي الْعَرَقِ، وَمَنْ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، وَمَنْ لَا يُظِلُّهُمْ.

وَكَذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْذَّوَابِنِ، وَمَجِيءِ الرَّبِّ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ، وَكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَفِي ذِكْرِ النَّاطِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ، وَتَحْذِيرِهِ مِنْ إِنْكَارِ وُجُودِهِمَا، وَإِنْكَارِ مَا يَقُومَانِ بِهِ مِنْ مَهَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلَامِ، وَهُمَا مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - فِي ذِكْرِ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ عُمُومًا، وَبِأَسْمَائِهِمْ، وَوُظَائِفِهِمْ، وَأَوْصَافِهِمْ، وَأَعْدَادِهِمْ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إجمالًا فِيمَا أَجْمَلَ، وَتَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ.

بَلِ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِ الْعِظَامِ.

فَيَنْهَى عَنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَالنَّكِيرِ، وَكَذَا يَنْهَى عَنْ إِنْكَارِ الْحَوْضِ، وَالْمِيزَانِ؛
لَا تُنْكَرُنْ جَهْلًا الْحَوْضَ الْمَوْرُودَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ وَلِأُمَّتِهِ.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الْإِيْمَانُ بِالْحَوْضِ

وَجَاءَ فِي وَصْفِ هَذَا الْحَوْضِ فِي السُّنَّةِ: «أَنَّ طُولَهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، وَمَاءُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَنَّ عَدَدَ كِيزَانِهِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

أَحَادِيثُ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ السُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَرْوِيٌّ عَنْ خَمْسِينَ صَحَابِيًّا، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ ذَكَرَ ﷺ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُذَادُ -أَي: يُدْفَعُ- عَنْ هَذَا الْحَوْضِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْحَابِي! أَصْحَابِي! فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمَاتَ مُرْتَدًّا.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَحْمِلَ الرَّوَافِضُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَنَّهُمْ، وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ، هُمْ الْمَعْنِيُّونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ -يَعْنِي الرَّوَافِضَ-؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُغَيِّرُوا، وَلَمْ يُحْدِثُوا بَعْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا ﴿الأحزاب: ٢٣﴾.

وَأَمَّا الَّذِينَ بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا فَهُمْ الرَّوَافِضُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ؛ زَادُوا فِيهِ
وَنَقَصُوا فِيهِمَا اخْتَرَعُوهُ هُمْ، وَأَمَّا كَلَامُ اللَّهِ فَلَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا
يُحَرَّفُ، فَهُمْ رَمَوْا الصَّحَابَةَ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ!

وَالشَّاهِدُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْحَوْضِ الْمُرُودِ وَاجِبٌ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا جَاهِلٌ.



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ

وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ؛ فَإِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ
الَّذِي يُنْصَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَأِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فَتَوْضَعُ الْأَعْمَالُ وَالِدَّوَابِ وَالْأَشْخَاصُ فِي تِلْكَ الْمَوَازِينِ؛ لِأَنَّ الْوِزْنَ كَمَا
قَدَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَكُونُ لِلْأَعْمَالِ، يَكُونُ لِلصُّحُفِ، يَكُونُ لِلْأَشْخَاصِ.

وَهُوَ مِيزَانُ حَقِيقَتِي، لَهُ كِفَتَانِ، يُوضَعُ عَلَى كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ، وَيُوضَعُ عَلَى
كِفَّةِ السَّيِّئَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْبُطَاقَةِ، وَالشَّاهِدُ فِيهِ ذِكْرُ كِفَتَيْنِ، وَهُوَ
قَوْلُهُ: «فَتَوْضَعُ الْبُطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، وَالسَّحِلَاتُ فِي كِفَّةٍ»، وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: «لَهُ
لِسَانٌ وَكِفَتَانِ»، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، ذَكَرَهُ أَبُو الشَّيْخِ مِنْ طَرِيقِ
الْكَلْبِيِّ، وَيُرْوَى أَيْضًا عَنْ الْحَسَنِ، وَلَمْ يَأْتِ ذِكْرُ اللِّسَانِ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم.

أَحَادِيثُ الْمِيزَانِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَالْقُرْآنُ مَلِيٌّ بِالْآيَاتِ عَنِ الْمِيزَانِ، وَهِيَ مَوَازِينُ
تَزِنُ مَثَاقِيلَ الذَّرِّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ الْأُمُورِ مِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا لَمْ يَذْكُرْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَهْمَلْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ التَّزَمُ الْإِيجَازَ وَالْإِخْتِصَارَ فِي الْمَنْظُومَةِ، وَمَا يُذَكِّرُ يَدُلُّ عَلَى مَا لَمْ يُذَكِّرْ.

وَلَا تُنْكِرْنَ -جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

فَذَكَرَ الْمُنْكَرَ وَالنَّكِيرَ، وَكَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَتَّى يُفْتَنَ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ ذَكَرَ نَعِيمَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ فِي آخِرِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي مَرَّتْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخِلَافَ وَقَعَ فِيهَا، وَتَكَلَّمَ الْمُعْتَرِضُ بِكَلَامٍ سُوءٍ، وَأَنْكَرُوا وَأَتَوْا بِمَا لَمْ يُعْهَدُ عِنْدَ السَّلَفِ لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ.

وَذَكَرَ الْحَوْضَ، وَالْحَوْضَ مِنْ: حَاضِ الْمَاءِ أَيُّ: جَمَعَهُ، وَالنَّبِيَّ ﷺ تَكَلَّمَ عَنِ الْحَوْضِ. أَحَادِيثُ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ كَمَا مَرَّ، وَحَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ قَاضٍ بِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا مَرَّ.

وَذَكَرَ الْمِيزَانَ مِنْ: وَزَنَ، وَالْوَزَنُ مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشَّيْءِ بِالْعَدْلِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

إِنَّكَ تُنْصَحُ: أَيُّ: تُرْشَدُ وَتُوجَّهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ؛ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، وَهَذَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ -أَيْضًا- مِنَ الْأُمُورِ السُّلُوكِيَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَائِفًا وَجَلًّا.

كَثِيرًا مَا تَجِدُ النَّاسَ يَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَوْتِ، وَكَانَتْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ مِنْ
مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا يَدْرِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ:

هَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟

وَهَلْ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهْ أَوْ يُنْعَمُ؟

وَهَلْ يَثْبُتُ عِنْدَ الْفِتْنَةِ فِي الْقَبْرِ أَوْ لَا يَثْبُتُ!!؟

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الثَّابِتَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ لِلْعَمَلِ لِهَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنْ يُعَدَّ
الْجَوَابَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي
بُعِثَ فِيكُمْ؟

وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخَذُ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامٍ فِيهِ حَسَنَاتٌ،
وَفِيهِ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، لَا أَنْ يَكُونَ أَخَذُ كِتَابِهِ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَفِيهِ مَا يُدِينُهُ!

وَلَمْ يَظْلِمْهُ أَحَدٌ!

لَمْ يَظْلِمْهُ الْكِتَبَةُ الْحَفَظَةُ.. لَمْ يَظْلِمْهُ الْمَلَائِكَةُ، بَلْ يَشْهَدُ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا
قَدَّمَ، وَمَا عَمِلَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمِيزَانَ يُوزَنُ فِيهِ مَا قَدَّمَ، وَمَا أَخَّرَ حَتَّى مِثْقَالِ الذَّرِّ،
فَلَنْ يُفْلِتَ شَيْءٌ، وَسَيُقَامُ الْعَدْلُ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَامَ، وَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ،
وَلَا دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ، وَإِنَّمَا الْحِسَابُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، مَنْ ظَلَمَ أَخَذَ مِنْ

حَسَنَاتِهِ لِلْمَظْلُومِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُ الظَّالِمِ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَطَرِحَ عَلَى الظَّالِمِ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ.

فَالْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ التَّفْصِيلِيِّ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُحَاسَبُ هَذَا الْحِسَابَ الْعَسِيرَ، فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ، وَأَنْ لَا يُوَرِّطَ نَفْسَهُ.

الْحَوْضُ أَنْكَرُهُ مَنْ أَنْكَرَهُ، وَأَثْبَتَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى حَسَبِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

الْحَوْضُ مَصْبُ نَهْرِ الْكَوْثَرِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَاءُ الْحَوْضِ مِنْهُ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، حَافَتَاهُ مِنَ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ وَالذَّهَبِ، وَمَجْرَاهُ -مَجْرَى الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ- عَلَى الْيَاقُوتِ وَالذَّرِّ، طِينَتُهُ مِسْكٌ أَزْفَرُ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ.

الْحَوْضُ مَصْبُ الْكَوْثَرِ، وَيَرِدُ عَلَيْهِ الْخَلْقُ؛ لِيَشْرَبُوا، مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِدُ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ بَعْدَ طُولِ الظَّمِّ كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّبِيِّ ﷺ أَتَى يَوْمًا الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا

بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ - يَعْنِي: وَأَنْتَ لَمْ تَرَهُمْ - قَالَ: «أَرَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمٍ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ - أَيُّ: سَابِقُهُمْ - عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَانَّ - لِيُدْفَعَنَّ وَيُطْرَدَنَّ - رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُدَادُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ - أَقْبِلُوا -، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَوْضِهِ وَأُمَّتُهُ تَرُدُّ عَلَيْهِ، يَعْرِفُ أَصْحَابَهُ؛ لِأَنَّهُمْ صَحْبُهُ، وَيَعْرِفُ إِخْوَانَهُ، يَعْنِي الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَرَهُمْ بِعَلَامَةٍ تُمَيِّزُهُمْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بِالْبَيَاضِ الَّذِي يَكُونُ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، وَكَذَلِكَ بِالتَّحْجِيلِ، يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ، وَالتَّحْجِيلُ: يَكُونُ فِي أَقْدَامِ الْفَرَسِ مِنْ بَيَاضٍ يَتَّبِعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا هُوَ لَوْنُهُ، فَكَذَلِكَ يَأْتِي الْمُتَوَضِّئُ الْمُصَلِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْرَ مُحَجَّلًا، وَيَعْرِفُهُ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ بَدَّلَ، فَإِنَّهُ يُسَمَّحُ لَهُ بِأَنْ يَشْرَبَ مِنَ الْحَوْضِ.

وَالَّذِي يَشْرَبُ مِنَ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَكَمَا مَرَّ مَاءُ الْحَوْضِ مِنَ الْجَنَّةِ؛ وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ هُوَ بَعْدَ الصَّرَاطِ أَوْ هُوَ قَبْلَ الصَّرَاطِ؟

فَالَّذِينَ قَالُوا هُوَ قَبْلَ الصَّرَاطِ اعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ قَدْ لَا يَجُوزُ الصَّرَاطُ وَلَا يَعْبرُهُ قَدْ يَعْذَبُ فِي النَّارِ بَعْدَ أَنْ شَرِبَ مِنَ الْحَوْضِ فَكَيْفَ؟

قَالُوا: إِذَا عَذَّبَ فِي النَّارِ يُعَذَّبُ بِغَيْرِ الْعَطَشِ.

وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الصَّرَاطِ، فَيَشْرَبُ مِنْهُ الَّذِينَ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَيْضًا الْمِيزَانَ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ سَيُوزَنُ بِنَفْسِهِ، بِجَسَدِهِ، يُوَضَّعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أَحَدٍ؟!».

فَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْعَامِلَ يُوزَنُ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّ الْأَعْمَالَ هِيَ الَّتِي تُوزَنُ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّ الصُّحُفَ تُوزَنُ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبُطَاقَةِ، وَأَمَّا أَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ مِنْ غَيْرِ صُحُفٍ، فَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ».

دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ كَمَا دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ مَا يُوزَنُ فِي الْمِيزَانِ:

الْأَعْمَالُ: كَمَا فِي حَدِيثِ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ».

الْأَشْخَاصُ: كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَكَذَا فِي حَدِيثِ الرَّجُلِ السَّمِينِ.

وَالصُّحُفُ: كَمَا فِي حَدِيثِ صَاحِبِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ سَجَلًا.

لَذَلِكَ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ -رَحِمَهُمَا اللَّهُ-: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا، وَعِرَاقًا، وَشَامًا، وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ: وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، وَالْمِيزَانُ حَقٌّ، لَهُ كِفَتَانِ تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ.

فَلَا تُنْكِرُنَّ -جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ، وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

يُنْصَحُكَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالَّذِي فِيهِ سَعَادَتُكَ وَنَجَاتُكَ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ رَحِمَهُ اللَّهُ -كَمَا مَرَّ- فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ لَا يَنْضَبِطُ أَمْرُ الْعَالَمِ إِلَّا بِهِ، لَا تَصْلُحُ هَذِهِ الْحَيَاةُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي هَذَا الْوُجُودِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِالْجَزَاءِ يَكُونُ مُتَسَقًّا مَعَ انْكَارِهِ، وَعَدَمِ إِيْمَانِهِ فِي أَنْ يَرْتَعَ فِي الْمَلَذَّاتِ؛ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ فَلَنْ يَحْدُثَ بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْءٌ، وَلَنْ يُحَاسَبَ عَلَى شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يُبْعَثَ.

لَوْ أَنَّ النَّاسَ آمَنُوا بِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْبَاطِلَةِ، وَهِيَ عَدَمُ الْبَعْثِ، وَعَدَمُ الْجَزَاءِ مَا اسْتَقَامَ لِأَحَدٍ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ، وَنَحْنُ نَرَى كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ لَا يُفْصَلُ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فَالنَّاسُ قَدْ يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَنَقَعُ الْمَظَالِمِ وَلَا تَنْتَهِي، وَلَا يُفْصَلُ فِيهَا، فَهَؤُلَاءِ الْمَظْلُومُونَ إِذَا لَمْ يَأْخُذُوا حَقَّهُمْ بَعْدَ فَنَائِهِمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ لَهُمْ حَيَاةٌ، وَرُبَّمَا تَحَوَّلُوا إِلَى مُتَقِيمِينَ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا مِتْنَا فَلَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ وَلَا جَزَاءَ؛ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ بِيَدِهِ.

وَالظَّالِمُ - أَيْضًا - يَرْتَعُ فِي الظُّلْمِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْخَلْقِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، فَتَسْتَقِيمُ أُمُورُ الْحَيَاةِ.

وَلَقَدْ هَدَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُشْرِكِينَ وَالْعَصَاةَ بِأَنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيُحَاسَبُونَ وَيُجَازَوْنَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْبَعْثَ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، وَهَذِهِ حِكْمَةُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَمِنْ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْبَعْثِ لِلْحَشْرِ، وَالْوُقُوفِ فِي الْمَحْشَرِ، وَمَا يَجْرِي بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَدِلَّةُ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِذَلِكَ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ - الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ - هُوَ أَوَّلُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ كَمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٢ - ٣].

قَبْلَ أَنْ يَذْكُرَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ قَالَ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿٣﴾﴾؛ الدِّينُ أَكْثَرُهُ غَيْبٌ، وَأَنْتَ إِذَا آمَنْتَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَآمَنْتَ بِالرَّسُولِ ﷺ فَأَنْتَ تُصَدِّقُ مَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ، فَإِذَا رَاجَعَ الْإِنْسَانُ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ قِبَلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ فَهُوَ يَرْجِعُ إِيْمَانَ الْقِمَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ رَبًّا عَلِيمًا حَكِيمًا، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ الرَّسُولَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ، فَإِذَا كَذَّبَ الرَّسُولَ كَأَنَّهُ يُكَذِّبُ الْمُرْسِلَ تَمَامًا.

فِي مَسْأَلَةِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ إِذَا أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَإِذَا عَصَى
الرَّسُولَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُ وَيَنْهَى؛ فَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ مُهِمٌّ جِدًّا.

وَنَحْنُ: اللَّهُ ﷻ بِالنِّسْبَةِ لَنَا غَيْبٌ، لَمْ تَرَهُ الْأَعْيُنُ، بَلِ الرَّسُولُ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لَنَا
نَحْنُ الَّذِينَ لَمْ يُعَاصِرُوهُ وَلَمْ يَصْحُبُوهُ، وَلَمْ يَرَوْهُ هُوَ غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ لَنَا.

فَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَهُ، وَإِلَّا كُنَّا
غَيْرَ شَاهِدِينَ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى: أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: أَنْ
تُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَأَنْ تَنْتَهِيَ عَنْ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَإِلَّا
تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

هَذَا مَعْنَى أَنْ تَقُولَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

مَعْنَاهَا: أَنْ تُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَأَنْ تَكْفَ وَتَنْتَهِيَ عَنْ مَا
عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا شَرَعَ، وَإِلَّا تَعْبُدَ اللَّهَ بِالْبِدْعِ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ
شَاهِدًا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فَأَوَّلُ شَيْءٍ: أَنْ تُصَدِّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ ﷺ؛ لِذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الصِّفَةَ
الْعَظِيمَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، أَوَّلَ مَا ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِمْ فِي صَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،
فَبَدَأَ بِالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ.

وَإِنْكَارُ الْبَعْثِ يَلْزَمُ مِنْهُ إِنْكَارُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِنْكَارُ الْمَلَائِكَةِ،
وَإِنْكَارُ كُلِّ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْمُشَاهَدَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّكَ إِنْ أَنْكَرْتَ الْبَعْثَ،

وَهُوَ غَيْبٌ أَخْبَرَتْ بِهِ؛ فَحِينَئِذٍ يَجْتَرِئُ عَلَى أَنْ يُنْكِرَ الْمَلَائِكَةُ، وَهُمْ غَيْبٌ، وَأَنْ يُنْكِرَ كُلُّ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْمُشَاهَدَةِ بِالْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، هَذَا قَوْلُ الْمَلَاحِدَةِ، وَقَوْلُ الدَّهْرِيَّةِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْغَيْبِ.

وَالْإِنْسَانُ يَسْتَدِلُّ عَلَى الْأُمُورِ بِشَوَاهِدٍ وَقَرَائِنَ وَبَرَاهِينٍ؛ يَعْنِي: الْإِنْسَانُ لَمْ يَرِ مُحْضَهُ، وَلَمْ يَرِ عَقْلَهُ، وَلَكِنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُحْضًا، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ عَقْلًا، هَلْ رَأَى أَحَدٌ عَقْلَهُ؟

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ نَفَيْتَ الْعَقْلَ عَنْ أَحَدٍ لَقَاتَلَكَ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ، وَهُوَ مُوقِنٌ يَقِينًا جَازِمًا بِأَنَّ لَهُ عَقْلًا، فَإِذَا قُلْتَ هَلْ رَأَيْتَهُ؟
فَيَقُولُ: لَا.

فَلِمَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلْأَبْعَدِ عَقْلًا؟

يُسْتَدَلُّ بِأَحْوَالِهِ هُوَ، وَتَصَرُّفَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ عَاقِلٌ، وَأَنَّهُ ذُو عَقْلٍ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، فَالْإِنْسَانُ نَفْسُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ مَا بَدَاخِلِهِ، وَلَا أَنْ يُحَقِّقَهُ، هَلْ فِينَا أَحَدٌ لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ رُوحًا؟

كُلُّنَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ رُوحًا، وَهَذِهِ الرُّوحُ مَادِّيَّةٌ يَعْنِي: لَيْسَتْ شَيْئًا مَعْنَوِيًّا، الرُّوحُ مَادِّيَّةٌ بِدَلِيلِ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا خَرَجَتْ تَبِعَهَا الْبَصَرُ.

إِذِنْ: الْبَصَرُ وَرَاءَ الرُّوحِ إِذَا مَا خَرَجَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ تَبِعَهَا الْبَصَرُ، فَهِيَ شَيْءٌ مَادِّيٌّ؛ هَلْ تَعْرِفُهُ، وَبِهِ حَيَاتُكَ؟! هَلْ تُدْرِكُهُ؟ هَلْ تَصِفُهُ؟ هَلْ لَمَسْتَهُ؟ أَبْصَرْتَهُ؟ شَمَمْتَهُ، وَهُوَ فِيكَ وَأَنْتَ تَجْزِمُ أَنَّهُ فِيكَ بِأَنَّ لَكَ رُوحًا!!

فَالْأَمْرُ يَسِيرُ وَقَرِيبٌ، وَلَكِنْ عَلَى مَنْ ثَبَتَ اللَّهُ ﷻ إِيْمَانَهُ وَيَقِينَهُ، وَالنَّاسُ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ مُقْتَضَى الْعَقْلِ فِي الْإِيْمَانِ حَتَّى بِالْغَيْبِ، وَلَكِنْ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ، وَإِلَّا مَا كَانَ غَيْبًا، وَهَذَا مِنَ الْإِخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ وَالْفِتْنَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَخْتَبِرُكَ.. يُخْبِرُكَ وَيَنْظُرُ تَصْدِيقَكَ، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا جَاءَهُ الْخَبَرُ قَالَ: آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ، وَإِذَا جَاءَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ قَالَ: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ.

فَالْإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُويَ عَلَيْهِ التُّرَابُ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، يُجْلِسَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟



الرَّدُّ عَلَى مُنْكَرِي عَذَابِ الْقَبْرِ

بَعْضُ النَّاسِ - كَمَا مَرَّ - مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمَلَا حِدَةٍ قَالُوا: إِنَّنَا إِذَا مَا كَشَفْنَا عَنْ حَالِ الْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ لَمْ نَجِدْ فِيهِ تَغْيِيرًا، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ بِالنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، وَتَقُولُونَ بِالسُّؤَالِ وَالْإِقْعَادِ.

حَتَّىٰ إِنْ بَعْضُهُمْ قَالَ: نَضَعُ الزُّبُقَ عَلَىٰ صَدْرِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ نَأْتِي بَعْدَ يَوْمٍ - مَثَلًا - لِنَكْشِفَ عَنْ هَذَا الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، فَسَنَجِدُ الزُّبُقَ عَلَىٰ حَالِهِ، وَلَوْ تَحَرَّكَ لَوَقَعَ هَذَا الزُّبُقُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ كُرَاتٍ مَعْرُوفَةً، وَحَرَكَتُهَا سَرِيعَةٌ، وَهِيَ قَابِلَةٌ لِلْحَرَكَةِ بِأَدْنَىٰ تَأْثِيرٍ، فَأَدْنَىٰ مُؤَثِّرٍ يُحَرِّكُ فِي كُرَاتِ الزُّبُقِ هَذِهِ عَنْ مَوَاضِعِهَا، فَلَوْ تَحَرَّكَ حَرَكَةً يَسِيرَةً، وَقَدْ وُضِعَ الزُّبُقُ عَلَىٰ صَدْرِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ هَذَا الزُّبُقُ جَمِيعُهُ عَنْ صَدْرِهِ.

جَاءَهُ الْمَلَكَانِ أَقْعَادُهُ، وَسَأَلَاهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا تَقُولُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكَ؟ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ.

يَقُولُونَ: نَفْتَحُ وَنَنْظُرُ، وَنَجِدُ الْأَمْرَ عَلَىٰ حَالِهِ هُنَا.

أَوَّلًا: مَرَّتْ بِهِمْ أُمُورٌ - كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ - بِمَرَحَلَةِ الْوُجُودِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأَرْحَامِ عِنْدَمَا كَانُوا أَجِنَّةً فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ، هَؤُلَاءِ مَرُّوا بِالْمَرَحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ،

وَكَانَ لَهَا قَانُونٌ فِي الْغِذَاءِ وَالْإِخْرَاجِ، وَفِي التَّنَفُّسِ وَفِي الْحَرَكَةِ، بَلْ فِي الْهَيْئَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْجَنِينُ فِي الرَّحِمِ مُنْطَوِيًّا عَلَى نَفْسِهِ؛ حَتَّى لَا تُؤَثِّرَ فِيهِ الصَّدَمَاتُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا بَطْنُ الْأُمِّ، بَلْ إِنَّهُ يَكُونُ مِنْ حَوْلِهِ السَّائِلُ (الْأَمِينُوسِي) فِي غِشَاءٍ أَمِينُوسِيٍّ يَكُونُ كَالْوَسَادَةِ، سَائِلًا، وَالسَّائِلُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَمْتَصَّ الصَّدَمَاتِ، فَإِذَا مَا وَقَعَ أَيُّ شَيْءٍ لِبَطْنِ الْأُمِّ، فَإِنَّ هَذَا السَّائِلَ يَمْنَعُ تَأَثُّرَ الْجَنِينِ مُبَاشَرَةً بِمَا وَقَعَ مِنَ الْإِصْطِدَامِ -مَثَلًا- بَيْنَ بَطْنِ الْأُمِّ، وَمَا اصْطَدَمَتْ بِهِ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ رِعَايَةِ اللَّهِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، وَيَقْطَعُ الْحَبْلَ السُّرِّيَّ، وَعَنْ طَرِيقِهِ كَانَ التَّنَفُّسُ، وَكَانَتِ التَّغْذِيَةُ، وَكَانَ الْإِخْرَاجُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُظَائِفِ، وَيَبْدَأُ هُوَ فِي التَّنَفُّسِ، وَيَبْدَأُ فِي الْأَكْلِ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُعْتَادِ، وَكَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ.

الْمَرْحَلَةُ هَذِهِ مَرَّةً كُلُّ إِنْسَانٍ، مَرَّةً بِهِذِهِ الْمَرْحَلَةِ كُلُّ إِنْسَانٍ، كَانَ جَنِينًا فِي الرَّحِمِ سِوَى آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَمَّا سَائِرُ الْخَلْقِ حَتَّى عِيسَى، فَالْجَمِيعُ مَرَّةً بِالْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ، هَلِ الَّذِي يُنْكِرُ مَا يَكُونُ فِي الْبَرْزَخِ، وَهُوَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ إِلَى أَنْ يُقِيمَ اللَّهُ السَّاعَةَ، هَلِ الَّذِي يُنْكِرُ هَذَا الَّذِي يَقَعُ مِنَ الْمَذْكُورِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ يُنْكِرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي الْمَرْحَلَةِ الْجَنِينِيَّةِ؟!!

وَهَلْ هَذَا الْقَانُونُ الَّذِي كَانَ يَحْكُمُهُ وَهُوَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ يُمَكِّنُ أَنْ يَسِرِّيَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ حَاكِمًا لَهُ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ؟!!

فَهَذَا مَرَرْتَ بِهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ، بَلْ لَا تَتَصَوَّرُهُ، وَهُوَ لَا يَحْكُمُكَ وَقَدْ مَرَّ فِي حَيَاتِكَ وَخَلَقِكَ، فَمَا الشَّأْنُ فِيمَا لَمْ تَمُرَّ بِهِ بَعْدُ، وَلَمْ تُزَاوِلْهُ!!؟

وَهُوَ قَانُونٌ يَحْكُمُ حَيَاةً أُخْرَى تَالِيَةً لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَرْزَخٌ وَسْطُ بَيْنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، فَالْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ لَهَا قَانُونٌ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ، وَكَانَ فِي سِيَاقِ الْإِحْتِضَارِ جَاءَهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، أَوْ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ وَقَعَدُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، وَهُمْ يُكَلِّمُونَهُ، وَهُوَ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعُهُمْ، وَالَّذِينَ حَوْلَ الْمَيِّتِ الْمُحْتَضِرِ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا، وَلَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا.

بَلْ مَا هُوَ أَقْرَبُ مِنْ هَذَا: الرَّجُلَانِ يَنَامَانِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا يَرَى فِي الرُّؤْيَا أَنَّهُ يُضْرَبُ وَيُهَانُ وَيُسْحَلُ وَيُعَذَّبُ، وَالْآخَرُ بِجَوَارِهِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَرَى فِي الرُّؤْيَا أَنَّهُ يُنْعَمُ وَيُعْطَى وَيُكْرَمُ، وَيَقُومُ هَذَا مُسْتَبْشِرًا مُتَهَلِّلًا الْأَسَارِيرَ، وَيَقُومُ هَذَا مُنْكَدِرًا، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ مَا أَحَاطَ بِهِ، وَهُمَا لَا يَدْرِي أَحَدٌ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ شَيْئًا، وَقَدْ اتَّسَعَ الْأَمْرُ لِهَذَا الَّذِي رَأَاهُ وَتَكَدَّرَ بِسَبَبِهِ، بَلْ إِنْ بَعْضُهُمْ رُبَّمَا يَظَلُّ مُتَكَدِّرًا زَمَانًا طَوِيلًا مِمَّا رَأَاهُ مَعَ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي رُؤْيَا، وَلَمْ يُزَاوِلْهُ فِي الْحَيَاةِ.

فَسَلِّمْ تَسْلَمَ!

وَهَذَا مُقْتَضَى الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ الْغَيْبِيَّةَ الْعَقْلُ يُشْتَبِهَا وَلَا يَعْلَمُهَا، يَعْنِي: أَنْتَ تُثَبِّتُ بِعَقْلِكَ مَا وَرَاءَ الْجِدَارِ مِمَّا لَا تَرَاهُ وَلَا تَسْمَعُهُ مِمَّا يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ، يَحُولُ

بَيْنَكَ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهِ وَسَمَاعِهِ وَتَحْقِيقِهِ الْجِدَارُ، لَكِنَّكَ لَا تُنْكِرُهُ وَتَقْرُ بِوُجُودِهِ، وَتَقُولُ: هُنَاكَ أُمُورٌ تَحْدُثُ فِي الطَّرِيقِ.

أَقْوَامٌ يَمْرُونُ، وَيُذْنِبُونَ، أَوْ يُحْسِنُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ، أَوْ يَصُمْتُونَ يَتَعَارَكُونَ يَتَصَافَحُونَ، أُمُورٌ تَحْدُثُ لَا تَعْلَمُهَا، وَلَكِنَّكَ تَقْرُ بِوُجُودِهَا مَعَ أَنَّهَا غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ لَكَ، وَهُوَ غَيْبٌ قَرِيبٌ فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَقُولُ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَمَا أَمُوتُ وَأَوْضَعُ فِي قَبْرِی سَيَأْتِينِي مَلَكَانِ يَسْأَلَانِي: عَنْ رَبِّي، وَعَنْ دِينِي، وَعَنِ الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ. أَصَدِّقُ بِذَلِكَ.

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا يَتَكَلَّمُ عَنْ أُمُورٍ يَسْتَغْرِبُهَا الْعُقُلُ، وَلَا يُحِيلُهَا، يَعْنِي لَا يَقُولُ هِيَ مُسْتَحِيلَةٌ؛ لِأَنَّ الدِّينَ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: أَنْ تَحْجِرَ مِنَ الْأَمْرِ، وَأَنْ تُحِيلَهُ - يَعْنِي: أَنْ تَقُولَ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا لَا يُمْكِنُ -، الدِّينُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ؛ يَعْنِي بِمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا.. لَا يُمْكِنُ، بَلْ هُوَ وَاقِعٌ تَحْتَ قُدْرَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَالَّذِينَ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، بَلْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَهَذَا لَا شَيْءَ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَتُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ قُدْرَتَكَ أَنْتَ حَاكِمَةً؟ أَنْتَ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، فَالْقُدْرَةُ لِصَاحِبِ الْقُدْرَةِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا ذَكَرَ أَنَّهُ: بَيْنَمَا كَانَ رَجُلٌ يَرْكَبُ بَقْرَةً كَلَّمَتْهُ الْبَقْرَةُ، قَالَتْ: أَنَا لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا! - يَعْنِي لِلرُّكُوبِ - هِيَ

خُلِقَتْ لِلْبَنِّ، لِلزَّرْعِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ!! يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، أُوْمِنُ بِهَذَا، وَيُؤْمِنُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَلَمْ يَكُونَا حَاضِرَيْنِ.

وَتَكَلَّمَ عَنْ ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ فَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ!!؟ قَالَ: أُوْمِنُ بِهَذَا، وَيُؤْمِنُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَلَمْ يَكُونَا ثَمَّ، لَمْ يَكُونَا حَاضِرَيْنِ.

إِيْمَانٌ بِالْغَيْبِ فَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

عَقْلُكَ يَعْمَلُ فِي مَجَالَيْنِ:

الْمَجَالُ الْأَوَّلُ: إِبْثَاتُ النَّصِّ.

الْمَجَالُ الثَّانِي: فَهْمُ النَّصِّ الَّذِي ثَبَتَ.

ثُمَّ يَتَوَقَّفُ وَيُسَلِّمُ.

الْمَجَالُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ إِبْثَاتُ النَّصِّ: إِذَا ثَبَتَ نُؤْمِنُ بِهِ، هَذَا هُوَ الْإِيْمَانُ الصَّدِيقِيُّ؛ لِأَنَّ الصَّدِيقَ ﷺ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّا وَقَعَ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَكَذَّبَ مَنْ كَذَّبَ، بَلِ ارْتَدَّ مَنْ ارْتَدَّ مِنْ ضِعَافِ الْإِيْمَانِ مِمَّنْ كَانَ قَدْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَثْبُتْ قَدَمُهُ فِيهِ، فَبَعْضُ النَّاسِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَصَارَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ؛ فَمِنْ ضَارِبٍ كَفًّا بِكَفٍّ، وَمِنْ وَاضِعٍ يَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ يَقُولُونَ: هَذَا شَيْءٌ لَا يُصَدَّقُ!

مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَهُمْ عَنِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

تَذْكُرُونَ الْقِصَّةَ كَمَا عِنْدَ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمَّا سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ قَالَ: لَوْ أَنِّي جَمَعْتُ لَكَ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ. قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ يُنَادِي عَلَى قُرَيْشٍ هَلُمُّوا.. هَلُمُّوا.. هَلُمُّوا، فَجَمَعَ النَّاسَ، فَقَالَ: حَدِّثُهُمْ يَا مُحَمَّدٌ بِمَا حَدَّثْتَنِي بِهِ، فَلَمَّا حَدَّثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَعَ بَعْضُ الَّذِي ذَكَرْتُ فَمِنْ ضَارِبٍ كَفًّا بِكَفٍّ، وَمِنْ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ تَعَجُّبًا، وَبَعْضُ النَّاسِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَثَبَّتَهُمُ اللَّهُ، لَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ حَاضِرًا، فَلَقِيَهُ الْكُفَّارُ بِظَاهِرِ مَكَّةَ يُرِيدُونَ فِتْنَتَهُ، فَقَالُوا: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ صَاحِبُكَ؟

قَالَ: وَمَا قَالَ؟

قَالُوا: يَقُولُ إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَلَمَّا يَبْرُدُ فِرَاشُهُ بَعْدُ.

قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ -الْعَقْلُ يَعْمَلُ هُنَا- قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ. يُرِيدُ أَنْ يَسْتَوْتِقَ مِنَ النَّصِّ؛ قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

قَالُوا: بَلْ قَالَ. فَلَمَّا رَجَعُوا، وَأَصْرُوا عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَالَ، عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَالَ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ.

هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الصَّدِيقِيُّ!

إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَعْجَبُ، قَالَ: بَلْ هُوَ يُحَدِّثُنِي بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا؛ الْوَحْيُ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ!!
وَمِنْ يَوْمِهَا لُقِّبَ أَبُو بَكْرٍ بِالصِّدِّيقِ.

فَالْإِيْمَانُ الصِّدِّيقِيُّ: هُوَ أَنَّكَ تَبْحَثُ عَنْ تَوْثِيقِ النَّصِّ، فَإِذَا وَثَّقَ النَّصُّ فَتَقُولُ: سَمِعْتُ وَصَدَّقْتُ، لَيْسَ لَكَ كَلَامٌ، وَالْعَقْلُ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ عَلَى حَسَبِ الْقَوَاعِدِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُعْمَلُ الْعَقْلُ بِغَيْرِ قَاعِدَةٍ، يَقُولُ: هَذَا لَا أَقْبَلُهُ! هَذَا كَذِبٌ! هَذَا افْتِرَاءٌ! هَذَا مُسْتَحِيلٌ! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، هَؤُلَاءِ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، لَا يُذَكَّرُونَ لَا فِي عَيْرٍ وَلَا نَفِيرٍ، وَلَكِنْ عَلَى حَسَبِ الْقَوَاعِدِ الْحَدِيثِيَّةِ الْمَرْعِيَّةِ: ثَبَتَ النَّصُّ؛ فَلَا كَلَامَ لِأَحَدٍ.

نَفْهَمُ النَّصَّ: مَا الْمُرَادُ مِنْهُ؟

هَذَا شَيْءٌ آخَرُ، وَيُوكَلُ هَذَا إِلَى عَالِمِهِ كَمَا يُوكَلُ إِثْبَاتُ النَّصِّ إِلَى عَالِمِهِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ التَّقْلِيدِ فِي شَيْءٍ، يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ: وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَهُوَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ، يَعْنِي: صَحِيحٌ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي الصَّحِيحِ، يَعْنِي: صَحِيحٌ.

هَلْ أَنْتَ مُقَلِّدٌ؟

تَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَأْخُذُونَ بِالتَّقْلِيدِ، بَلْ يُنْكِرُونَ التَّقْلِيدَ، وَيَذُمُّونَهُ، وَلَكِنْ بِإِطْلَاقٍ؟

لَا، لَيْسَ بِإِطْلَاقٍ؛ أَوَّلًا: هَذَا لَيْسَ مِنَ التَّقْلِيدِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ قَبُولِ قَوْلِ الثَّقَّةِ.

الْأَخْذُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي التَّصْحِيحِ وَالتَّضْعِيفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ هَذَا مِنْ بَابِ قَبُولِ قَوْلِ الثَّقَّةِ.

وَهَلِ التَّقْلِيدُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِإِطْلَاقٍ؟ مَاذَا يَصْنَعُ الْعَامِّيُّ؟
الْعَامِّيُّ لَا يَعْرِفُ الدَّلِيلَ، وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُمَيِّزُهُ؛ فَهَذَا يُقَلَّدُ، وَلَا تَثْرِيبَ عَلَيْهِ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ هَذِهِ الْأُمُورُ الْغَيْبِيَّةُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَمِنْهَا أَنَّنَا إِذَا مِتْنَا وَغُيِّنَا فِي قُبُورِنَا فِتْنًا، -نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ- وَنَسْأَلُ الْأَسْئَلَةَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ.

ذَكَرَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ -كَمَا مَرَّ- الْحَوْضُ: كُلُّ مُبْتَدِعٍ لَا يَشْرَبُ مِنَ الْحَوْضِ؛ الْحَوْضُ حَرَامٌ شَرَبُ مَائِهِ عَلَى كُلِّ مُبْتَدِعٍ؛ «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ أَحْدَثَ بَعْدِي»، وَالْمَلَائِكَةُ يَطْرُدُونَهُمْ شَرَّ طَرْدَةٍ عَنْ حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْرَبَ مِنْ حَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَرْبَةً هَنِئَةً لَا تَظْمَأُ مِنْ بَعْدِهَا أَبَدًا فَالْزِمِ السُّنَّةَ، وَإِيَّاكَ وَالْبِدْعَةَ؛ فَإِنَّهَا تَقْطَعُكَ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ ﷺ.

تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

فَإِيَّاكَ وَالْإِحْدَاثَ فِي الدِّينِ، الزَّمْ غَرْسَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ ﷺ فِي الدُّنْيَا، وَاعْمَلْ بِهَا؛ حَتَّى تَرِدَ عَلَيْهِ حَوْضُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَتَّى تَشْرَبَ مِنْهُ.



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ ﷺ

www.menhag-un.com

الرَّدُّ عَلَى مُنْكَرِي الْمِيزَانِ

الْمِيزَانُ: ذَكَرَهُ أَيْضًا، وَالْمُعْتَزَلَةُ يَقُولُونَ: هُوَ مِيزَانٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ.

قَالُوا: هَذَا رَمْزٌ، مَعْنَاهُ: إِقَامَةُ الْعَدْلِ؛ فَهُوَ مِيزَانٌ مَعْنَوِيٌّ، مَعْنَاهُ: الْعَدْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَلَا تَدْرِي مَا الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ النَّاسَ يُدْخِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟!

يَعْنِي: مَا الَّذِي يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مِيزَانًا حَقِيقِيًّا، وَلَهُ كِفَّتَانِ؟

وَلِمَاذَا تَقُولُ: هُوَ رَمْزٌ؟

لِمَاذَا تُدْخِلُ عَقْلَكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ؟

وَمِنْ أَيْنَ أَنَّهُ رَمْزٌ؟

يَعْنِي: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ أَنْتَ بِأَنَّهُ رَمْزٌ، وَأَنْ مَعْنَاهُ: الْعَدْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ؟ مِنْ أَيْنَ

جِئْتَ بِهَذَا؟

يَأْتِيكَ النَّصُّ مِنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ، وَفِي السُّنَّةِ بِأَنَّهُ: مِيزَانٌ، وَيُوزَنُ

فِيهِ، وَفِي السُّنَّةِ أَنَّ لَهُ كِفَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ تَوْضَعُ فِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْكِفَّتَيْنِ صُحُفٌ، وَيَكُونُ

هُنَاكَ وَزَنٌ بِمِثَالِ الذَّرِّ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُوزَنُ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ!!

كُلُّ هَذَا يَأْتِيكَ، وَأَنْتَ تَقُولُ: لَا، إِنَّمَا هُوَ رَمْزٌ، مَا الْمَعْنَى فِي أَنْ يَكُونَ رَمْزًا؟
وَمَا الَّذِي يَضُرُّ إِذَا كَانَ مِيزَانًا حَقِيقِيًّا؟

هَذِهِ لَيْسَتْ بِعَقْلِيَّاتٍ؛ هَذِهِ جَهْلِيَّاتٌ، وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ
دِينَهُمْ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!!

فَعَلَيْنَا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ: التَّصَدِيقُ، بَلْ عَلَيْنَا: الْيَقِينُ عَلَى صِدْقِ
مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

وَمَا جَاءَ عَنِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْخِلَافِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لَا يَضُرُّكَ، يَعْنِي بَعْضُ
النَّاسِ يَقُولُ: هَلْ هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ؟ لِأَنَّهُ وَرَدَ الْمِيزَانُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ فِي بَعْضِ
النُّصُوصِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ
مِيزَانٌ وَاحِدٌ: «وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ ﷻ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».

فَبَعْضُ النَّاسِ رُبَّمَا يَتَشَكَّكُ مِنْ أُمُورٍ لَا يَفْهَمُهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْمَلْ عَقْلُهُ هُنَا
بِسُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالْبَحْثُ عَنِ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ لِمَا وَرَدَ.

أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، فَلِمَاذَا ذُكِرَ بِصِغَةِ الْجَمْعِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؟

قَالُوا: بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمُوزُونَةِ فِيهِ، يُوزَنُ لَكَ، وَيُوزَنُ لِغَيْرِكَ،
فَمِيزَانُكَ سِوَى مِيزَانِ الْآخِرِ، وَإِنْ كَانَ الْمِيزَانُ وَاحِدًا، وَلَكِنَّ مِيزَانَكَ أَنْتَ كَذَا
وَنَتِيجَتُهُ كَذَا، وَمِيزَانُ الْآخِرِ كَذَا وَنَتِيجَتُهُ كَذَا، فَكَانَهُمَا مِيزَانَانِ؛ فَإِذَا كَثُرَ الْعَدَدُ

فَهِيَ مَوَازِينُ، فَقَالُوا: هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ تُوْزَنُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ.

الْحَافِظُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْخِلَافَ قَالَ: وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَلَا يُشْكَلُ عَلَيْهِ كَثْرَةُ مَا يُوزَنُ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَحْوَالَ الْقِيَامَةِ لَا تُكَيَّفُ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: مِيزَانٌ وَاحِدٌ تُوْزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ مِنْ آدَمَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا؟!

سُئِلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوًا مِنْ هَذَا السُّؤَالِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟

قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ.

الَّذِينَ تُوْزَنُ أَعْمَالُهُمْ فِي الْمِيزَانِ هُمُ الْمُكَلَّفُونَ؛ كَمْ يَبْلُغُ الْمُكَلَّفُونَ مِنَ الْأَحْيَاءِ؟

سِوَى الْمُكَلَّفِينَ، إِنَّ عَالَمَ الْأَسْمَاكِ - كَمَا يُقَرَّرُ عُلَمَاءُ الْبَحَارِ - فِيهِ مِنَ التَّنَوُّعِ أَكْثَرُ مِنَ التَّنَوُّعِ الْمَوْجُودِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ؛ الْكَائِنَاتُ الْبَحْرِيَّةُ أَكْثَرُ عَدَدًا فِي تَنَوُّعِهَا وَخَلْقِهَا، وَصَفَاتِهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْبَرِّيَّةِ؛ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالزَّوَاحِفِ، كُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَرِّيَّةِ لَا تَبْلُغُ أَنْ تَصِلَ إِلَى عَدَدِ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَحْرِيَّةِ فِي تَنَوُّعِهَا وَخَلْقِهَا، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَهَذَا عِلْمٌ مَادِّيٌّ، هُمْ لَا يُرِيدُونَ إِثْبَاتَ شَيْءٍ شَرْعِيٍّ، وَلَكِنْ يُخْبِرُونَ عَلَى حَسَبِ عِلْمِهِمْ.

كُلُّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ مِنْ أَوَّلِ مَا نَعْرِفُهُ، هُوَ الْفَيْرُوسُ يَتَغَذَّى، وَيَتَكَاثَرُ وَيَتَنَفَّسُ، رِزْقُ! لَهُ رِزْقٌ مَقْصُودٌ، أَتَظُنُّ أَنَّ حَرَكَةَ مُلَا حَظَّتِكَ لِلنَّمْلِ الْمُتَجَمِّعِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْحُلْوَى -مَثَلًا-، وَقَدْ تَكَاثَرَتْ أَعْدَادُ النَّمْلِ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ، وَأَعْدَادٌ لَا تَبْلُغُ شَيْئًا، أَتَظُنُّ أَنَّ حَرَكَةَ هَذِهِ النَّمَالِ، وَمَا تَأْخُذُ مِنْ هَذَا الْغِذَاءِ، وَمَا تَرُوحُ بِهِ، وَمَا يَكُونُ لَهَا تَهْضُمُهُ هِيَ، وَمَا تَذْهَبُ بِهِ إِلَى حَيْثُ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا مِنْ مَمَالِكِ النَّمْلِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُدْخَرَ لِأَيَّامِ الشِّتَاءِ وَالْمَطَرِ، أَتَحْسَبُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَحْسُوبٍ؟!

هَذَا مَحْسُوبٌ، وَمَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

هَذِهِ النَّمْلَةُ أَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسَمِّيَهَا، أَنْ تُلَقِّبَهَا، اللَّهُ يَعْلَمُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، حَرَكَةُ حَيَاتِهَا مَرْسُومَةٌ، بَلْ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ هَذَا ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]!!

الْوَرَقَةُ تَنْزِلُ فِي وَقْتٍ مَا مُحَدَّدٍ، وَعِنْدَمَا تَنْزِلُ تَكُونُ هُنَاكَ رِيحٌ، أَوْ لَا تَكُونُ، وَالْجَازِيَّةُ فِي الْمَكَانِ لَهَا نِظَامُهَا، وَكَذَلِكَ مَا حَوْلَ الْمَكَانِ مِنْ بُخَارِ الْمَاءِ مِنَ الْحَرِّ، مِنَ الْبَرْدِ مِنَ النَّهَارِ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي سَتَنْزِلُ فِيهِ أَحْيَاءٌ مِنَ النَّبَاتِ أَوْ غَيْرِ النَّبَاتِ أَوْ مِنَ التُّرَابِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، حَرَكَةُ هَذِهِ الْوَرَقَةِ فِي نَزُولِهَا مَحْسُوبَةٌ، سَتَنْزِلُ؛ لِتَكُونَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]!!

بَلْ أَدَقُّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ، الرُّطْبُ مَا فِيهِ جُزَيَّاتُ الْمَاءِ،
وَالْيَابِسُ مَا خَرَجَتْ مِنْهُ جُزَيَّاتُ الْمَاءِ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَ دُخُولِ جُزْيِ الْمَاءِ
إِلَى الشَّيْءِ يَعْلَمُهُ، وَجُزْيُ الْمَاءِ فِيهِ ذَرَّتَانِ مِنَ الْهَيْدُرُوجِينَ، وَذَرَّةٌ مِنَ
الْأَكْسُجِينِ، كَمَا يَقُولُونَ، اتَّحَادُ هَذِهِ الذَّرَاتِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ؛ لِتَكْوِينِ هَذَا
الْجُزْيِ مِنَ الْمَاءِ مَعْلُومٌ مُقَدَّرٌ مُحَدَّدٌ وَمَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ!

يَدْخُلُ جُزْيُ الْمَاءِ يَصِيرُ الْيَابِسُ رَطْبًا، يَخْرُجُ يَصِيرُ الرُّطْبُ يَابِسًا؛ ﴿وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] مَاذَا تَظُنُّونَ؟

بَلْ مَاذَا تَعْتَقِدُونَ؟

إِنَّهُ اللَّهُ!!

لَوْ قَدَرْنَا حَقَّ قَدْرِهِ مَا عَصَيْنَاهُ قَطُّ، وَنَحْنُ لَا نُؤْفِيهِ حَقَّ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ أَنَّ
الْإِنْسَانَ سَجَدَ لِلَّهِ مُنْذُ أَنْ يَخْلُقَهُ إِلَى أَنْ يَمُوتَ إِلَى أَنْ يُقِيمَ السَّاعَةَ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْفِي
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَقَّ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنَّا لَا نَعْرِفُهُ؛ فَنَجْتَرِئُ وَنَعْصِي، بَلْ بَعْضُ
الْبَشَرِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِلَهٌ أَوْ نِصْفُ إِلَهٍ، فَيُرِيدُ تَعْيِيدَ الْخَلْقِ بِوَجْهِهِ الْقَبِيحِ!!

وَأَمَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّهُ هُوَ الْحَلِيمُ السَّتِيرُ، يَشْتُمُهُ خَلْقُهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمْ وَيَحْلُمُ،
وَيَكْذِبُونَهُ وَيَحْلُمُ عَلَيْهِمْ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقُدْسِيِّ.

الْمُهْمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِمَّا هُوَ ثَابِتٌ فِي كِتَابِ رَبِّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَسُئِلَ عَلِيُّ (رضي الله عنه): كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثَرَتِهِمْ؟ قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثَرَتِهِمْ.

اللَّهُ ﷻ رَبَطَ الرِّزْقَ بِالْأَجَلِ، وَكُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ لَهُ رِزْقٌ، كَمَا قُلْتُ لَكَ مِنْ أَوَّلِ الْفَيْرُوسِ فِيمَا نَعْلَمُ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هُنَاكَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَا هُوَ أَدْقُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ نَعْلَمْهُ بَعْدُ.

الْفَيْرُوسُ مِنْ أَعْقَدِ الْكَائِنَاتِ فِي التَّكْوِينِ الْعُضْوِيِّ، رِزْقٌ، وَهَذَا الرِّزْقُ أَنْتَ أَحْيَانًا تَأْخُذُهُ مُجَمَّلًا -يَعْنِي رِزْقَكَ، مَا أَتَاكَ، تَأْكُلُ، وَتَشْرَبُ، وَتَلْبَسُ، وَتَنْفِقُ؟- لَا كُلَّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَائِكَ لَهَا رِزْقٌ، وَمِنْهَا مَا يَمُوتُ يَنْقَطِعُ رِزْقُهُ، وَمِنْهَا مَا هُوَ حَيٌّ يَصِلُ إِلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَرِيضٌ يَصِلُ إِلَيْهِ رِزْقُهُ بِحَسَبِهِ، حَتَّى الْخَلِيَّةُ، بَلْ مَا بَدَاخِلِ الْخَلِيَّةِ لَهُ رِزْقُهُ؛ لِأَنَّ الْخَلِيَّةَ الْحَيَوَانِيَّةَ لَهَا تَرْكِيْبٌ -كَمَا تَعْلَمُونَ-، فَالْأَمْرُ كَبِيرٌ جَدًّا.

وَاللَّهُ ﷻ خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ، فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَهَا، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي الْإِثْيَانِ بِهَا حَتَّى يَرْحَمَنَا رَبُّنَا؛ وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثَرَتِهِمْ.

هَلْ تَرَكَ أَحَدًا؟

النَّاسُ جَمِيعًا يَقْرُونُ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ حَيٌّ غَيْرُ مَرْزُوقٍ، بَلْ رَبُّطُوا بَيْنَ
الْأَمْرَيْنِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فَيَقُولُونَ: حَيٌّ يُرْزَقُ؛ كَيْفَ حَالُ فَلَانٍ؟ حَيٌّ يُرْزَقُ، كَيْفَ
حَالُكَ؟ حَيٌّ أُرْزَقُ.

فَتَرْبُطُ الْحَيَاةُ بِالرِّزْقِ، وَالْأَجَلَ بِالْعَطَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَطُّ حَيًّا لَا يُرْزَقُ، لَا
يُمْكِنُ، وَالرِّزْقُ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، رُبَّمَا تَحْبِسُهُ، وَتَقُولُ: غَيْرُ
مَرْزُوقٍ، لَا هُوَ مَرْزُوقٌ أَيْضًا، الْهَوَاءُ الَّذِي يَتَنَفَّسُهُ رِزْقٌ، إِذَا انْقَطَعَ جَاءَ الْمَوْتُ،
فَأُمُورٌ كَثِيرَةٌ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com